

# الأصل السلافي المشترك لمتحدثي أسرة اللغات الإفريقية الآسيوية

د. كمال محمد جاه الله\*

## مقدمة

تحاول هذه الورقة تسليط الضوء على مفهوم " الإفريقية الآسيوية " Afro-asiatic من المنظور التاريخي واللغوي بتناول وعرض بعض إسهامات مصنفي اللغات الإفريقية التي سبقت العالم الأمريكي جوزيف غرينبيرج ( صاحب المفهوم / المصطلح)، والتي اتخذها لاحقا قاعدة انطلاق لابتداع أسرة اللغات الإفريقية الآسيوية التي ردها إلى أصل لغوي مشترك انحدرت منه جميع اللغات التي تتحدثها السلالة القوقازية بشقيها الحامي والسامي .

كما تحاول الورقة ، أيضا ، تسليط الضوء على حقيقة الأصل السلافي المشترك لمتحدثي أسرة اللغات الإفريقية الآسيوية بتناول وعرض آراء العلماء عن جدلية التشابهات السلافية والثقافية واللغوية والاختلافات ومبرراتها بين مكونات السلالة القوقازية ، بالإضافة إلى جدلية الموطن الأصلي ( الأول ) لهذه السلالة .

## مفهوم الإفريقية الآسيوية : خلفية لغوية وتاريخية

ارتبط مفهوم الإفريقية الآسيوية بالعالم الأمريكي جوزيف غرينبيرج الذي ساقه في خمسينيات القرن الماضي ضمن تصنيفه المشهور للغات الإفريقية ، وذلك أنه قسم اللغات الإفريقية إلى أربع أسر هي :

- 1- أسرة اللغات الإفريقية الآسيوية (وهي محط تركيزنا في هذه الورقة).
- 2- أسرة اللغات النيلية الصحراوية.
- 3- أسرة اللغات النيجر كردفانية.

\* مركز البحوث والدراسات الإفريقية - جامعة إفريقيا العالمية

## 4- أسرة اللغات الكويسانية.

وتعتبر أسرة اللغات الإفريقية الآسيوية الأسرة الأقل جدلاً ضمن الأسر المشار إليها أعلاه، كما تعتبر فرضيتها الفرضية التي وجدت قبولا واسعا ، هذا بالإضافة إلى أنها الأسرة الوحيدة التي تشمل بعض اللغات المتحدثة خارج قارة إفريقيا (1).

تحتل أسرة اللغات الإفريقية الآسيوية مساحة واسعة الأرجاء ، إذ تنتشر في جميع مناطق إفريقيا الشمالية والأجزاء المجاورة لها من آسيا ، ومنطقة القرن الإفريقي في شرق إفريقيا ، ومنطقة واسعة بالقرب من بحيرة تشاد (2).

وبما أن جوزيف غرينبيرج دائما ما يتهم بأن تصنيفه المشار إليه ما هو إلا إعادة ترتيب لما توصل إليه المصنفون للغات الإفريقية من قبله مع بعض الإضافات من عنده (3) ، فإننا سنتناول هنا بعض المؤشرات التي تركز هذا الفهم ، وسيكون المثال مقصورا على أسرة اللغات الإفريقية الآسيوية بذكر بعض مجهودات العلماء الذين سبقوه لاسيما أولئك الذين أشاروا إلى التشابهات والتقاربات بين الأفرع والمجموعات اللغوية واللغات التي شكلت فيما بعد هذه الأسرة ، ومنهم على سبيل المثال لا الحصر ودون التقيد بالتسلسل التاريخي الآتي :

**أولا :** اقترح عمل باحثين عديدين في منتصف القرن التاسع عشر الميلادي أن المصرية القديمة واللغات البربرية ولغات محددة في شمال إفريقيا تسمى بالكوشية ( مثل القالا والصومالية والجاوية والعفر ( الدناكل ) لغات أخرى مثل الهوسا ، إنها جميعا ذات علاقة بعيدة مع بعضها البعض ومع العائلة السامية (4) .

**ثانيا :** أقام فريدريش مولر Friedrich Muller عالم اللغة النمساوي الذي أعد في عام 1877- 1888 تصنيفا للغات العالم على أساس العلاقات المشتركة للمجموعات اللغوية والسلافية - أقام عدة أقسام ورد ضمنها الحامية والسامية ، ولكن كل في مجموعة منفصلة (5) .

**ثالثا :** اقترح كارل ريتشارد ليبسيوس Karl Richard Lepsius عالم المصريات الألماني في عام 1880 تصنيفا للغات والشعوب في إفريقيا ضمنه ثلاث مجموعات كبرى هي: 1 - السامية 2- الحامية ويشمل الهوسا التي وصفها ضمن

مجموعة مع البربرية أو الفرع الليبي 3 - الهنتوت ، التي لم تصنف أي منها كلغة حامية بواسطة مولر (6).

**رابعاً :** قام كارل ماينهوف Karl Meinhof وديتريتش وسترمان Dietrich Westermann الرائدان الألمانيان المختصات بالإفريقيات في وقت مبكر من القرن العشرين بمراجعة لتصنيف ليبسيوس، إذ أضاف ماينهوف عددا من اللغات إلى المجموعة الحامية لليبسيوس منها الفولانية لغة غرب إفريقيا الكبرى ، كما أضاف أيضا مجموعة من لغات شرق إفريقيا مثل الماساي والباري. أما وسترمان فقد حاول جمع اللغات غير البانتوية وغير الحامية وغير السامية تحت اسم السودانوية Sudanic (7).

**خامساً :** حصر الباحثون الفرنسيون ، ونخص منهم موريس ديلافوس Maurice Delafosse وليليا همبيرغر Lilius Homburger ، الحامية على المصرية القديمة واللغات البربرية في شمال إفريقيا والمجموعة الكوشية غير المتجانسة من لغات الشمال الشرقي الإفريقي ، ولم يقبلوا التصنيف الذي قدمه ماينهوف وسترمان وقد شاركهما في ذلك عدد من العلماء (8).

**سادساً :** افترض بروجيش Brugsch أن اللغة المصرية القديمة لغة سامية ، وفسر إرمان Erman أوجه الشبه بين اللغات السامية والمصرية القديمة بأن هذه اللغة قد انفصلت في وقت مبكر عن الأسرة السامية وشقت طريقها وحدها عدة آلاف من السنين (9).

**سابعاً :** أثبت روسلر Rosler ، الذي اهتم ببحث لغة النقوش الليبية القديمة المسماة بالنقوش النوميديية ، أثبت بما لا يقبل الشك أن اللغة النوميديية لغة سامية انفصلت عن اللغات السامية في الشرق في مرحلة مغرقة في القدم ، ثم تطورت بعد ذلك في اتجاه خاص جعلها تختلف إلى حد كبير عن باقي اللغات السامية ، فهي في نظره سامية قديمة خضعت لمؤثرات إفريقية جعلتها تتخذ طابعها الخاص بها ، كما أثبت روسلر أيضا أن اللغة الصومالية تمت بصلة قرابة مع اللغة النوميديية (اللغة الليبية القديمة) (10).

**ثامناً :** ذكر سلجمان G. Seligman في مؤلفه المشهور Races of Arica أن اللغات السامية تشبه اللغات الحامية شبيها لا يدع مجالاً للشك في أن ثمة صلة وثيقة بين

هاتين المجموعتين من اللغات ، بحيث يمكن أرجاعهما قطعا إلى أصل مشترك غير بعيد (11) ، وينكر أنه نشأ في شرق الصحراء الكبرى قبل أن تجف في حدود الألفية الثالثة قبل الميلاد (12) ، وقيل إنه يرجع إلى الفترة التي تبدأ من 800 سنة قبل الميلاد (13).

وعندما جاء غرينبيرج وقدم تصنيفه الذي اعتمد فيه على من سبقه في هذا المجال اعتمادا شبه كامل ، وقد وجد أن أغلب الأبواب مفتحة أو شبه مفتحة ، قام بعرض الشواهد الخاصة باللغات المختلفة لزنوج إفريقيا التي اعتبرت بواسطة بعض الكتاب بأنها تنتمي لأسرة اللغات السامية الحامية وبموجب ذلك تم استبعاد لغة الفولاني واللغات النيلية - الحامية ( مثل الماساي والناندي والتركانا والسك Suk والباري وغيرها ) ولغة الهنتوت عن هذه الأسرة (14). واقترح اسم الإفريقية الآسيوية لهذه الأسرة ( السامية - الحامية ) لأنها الأسرة الوحيدة الموجودة في إفريقيا وآسيا (15) ، فانتشر هذا التصنيف في مجاله ، ولم تجر عليه حتى الآن طبافات جوهرية سوى تلك التي تردد في حسمها ، وسنعرف بعضها منها لاحقا.

والحق أن مفهوم الإفريقية الآسيوية ( الأفروآسيوية ) عند غرينبيرج لا يدل على ما كان غيره يصفه بمصطلح السامية الحامية ( ذلك المصطلح الذي انتجه عالم المصريات الألماني كارل ريتشارد ليبسيوس ) فهناك اختلافات بين رأيه في تصنيف اللغات ورأي الباحثين السابقين عليه ، فاللغة الفولانية لا تدخل في تصنيف غرينبيرج ضمن اللغات الإفريقية الآسيوية ، بينما جعلها باحثون آخرون من اللغات الحامية ، ولم يكن ثمة يقين حول انتماء لغة الهوسا إلى السامية - الحامية ، وقد أثبت غرينبيرج أن لغة الهوسا وباقي اللغات التشادية تكوّن فرعا من أفرع المجموعة اللغوية الكبرى ( الإفريقية الآسيوية ) (16) . وقد صمد استبعاد اللغة الفولانية عن اللغات الحامية ، كما بات من شبه المؤكد انتماء لغة الهوسا وباقي اللغات التشادية لأسرة اللغات الإفريقية الآسيوية .

مهما يكن من أمر ، فقد قسم غرينبيرج أسرة اللغات الإفريقية الآسيوية إلى خمسة أفرع متساوية في الرتبة حيث لا تشكل اللغة السامية إلا فرعا واحدا منها والبقية كانت تسمى بالحامية ، وهذه الأفرع الخمسة هي :

1- **السامي** : ويمثل هذا الفرع في إفريقيا بالعربية ، ولغة الأمهرا اللغة الرسمية في إثيوبيا ولغة التقريبا اللغة المسيطرة في إريتريا ، ولغة الجنز لغة الخدام في الكنيسة الإثيوبية التي لم تعد تتحدث . والفرع السامي كما يورد ماتثيو Matthew ينقسم إلى ثلاثة أفرع رئيسة: السامية الشرقية ( الأكادية ) ، والسامية الغربية ( وتشمل العربية والعبرية ) والسامية الجنوبية (تشمل الأمهرية ولغات أخرى في أثيوبيا وإريتريا ، وأيضا لغات قديمة وحديثة في جنوب الجزيرة العربية) (17).

2- **المصري القديم** : وهو فرع مفروض ، وقد كانت تمثله اللغة القبطية التي انقرضت منذ القرن السابع عشر الميلادي عندما تغلبت عليها اللغة العربية بعد الفتح الإسلامي لمصر ، ولكن توجد آثار هذه اللغة في الكتابات والنقوش التاريخية العظيمة التي خلفتها الحضارة الفرعونية ، كذلك في اللغة القبطية التي تستعمل بصورة محدودة في الكنائس الأرثوذكسية في مصر بقراءة بعض جمل الكتاب المقدس بهذه اللغة من باب التبرك (18).

3- **البربري** : اسم البربر اسم نوعي شامل لمجموعة من اللغات في شمال إفريقيا وعبر منطقة الصحراء الكبرى ومعظم متحدثي البربرية في الشمال الغربي (إفريقيا) خاصة في المغرب (19) . وتنقسم اللغات البربرية إلى ثلاث مجموعات هي : غوانشي والفوميديية وقد انقرضت هاتان المجموعتان وبقيت المجموعة الأخيرة وهي البربرية القحة Proper Berber وتشمل ثلاثين لغة منها : تامهاق ، وتمازيق ، وتماشيق ، وكابيلي ، سوكنة .. (20).

4- **الكوشي** : يضم هذا الفرع عددا من اللغات الممتدة والمتباينة في شمال شرق إفريقيا منها الصومالية والقالا والبجا. تورد الموسوعة الأمريكية أن اللغات الأكثر أهمية في الفرع الكوشي هي الصومالية والقالا اللتان مع بعضهما تستخدمان بمقدار 90% من السكان المتحدثين للغات الكوشية . والصومالية هي لغة غالبية شعب الصومال وتمتد إلى المناطق المجاورة ، والقالا واحدة من لغتين أكثر أهمية في أثيوبيا (21).

5- **الشادي** : يتحدث هذا الفرع إلى الشرق والجنوب من بحيرة تشاد ، أي أنه يتحدث في تشاد والكاميرون وشمال نيجيريا على الرغم من أن الهوسا ، أكثر عضو معروف

ومتحدث بصورة أكثر انتشارا في هذا الفرع ، تستخدم على امتداد غرب إفريقيا ، يورد الطاهر داود: أن عدد لغات هذا الفرع ما بين 123 - 150 لغة ، وتشكل لغة الهوسا وحدها 80% من مجموع عدد المتحدثين بهذه اللغات <sup>(22)</sup>. ومن لغات الفرع التشادي كتكو Katako وأنقاسا Angas وبورا Bura وماسا Masa . طرأت بعض التفاصيل غير الجوهرية على تصنيف غرينبيرج فأضيف فرع سادس قام باقتراحه هارولد فلننج Harold Fleming وآخرون ، إذ إن تلك المجموعة التي صنفت مسبقا على أنها مجموعة غربية ضمن الفرع الكوشي أصبحت فرعا مستقلا تحت اسم الفرع الأومي Omotic branch <sup>(23)</sup> . ومن المعروف أن غرينبيرج تردد كثيرا في ضم الفرع الكوشي الغربي لمجموعة اللغات الكوشية .

وفي هذا المقام يقول ريتشارد هايوارد Richard Hayward إن هناك اتفاقا عاما على الكينونة الواضحة المعالم لأربعة فروع ( هي التشادية والبربرية والمصرية والسامية ) وعدم الاتفاق يختص بالفرع الكوشي <sup>(24)</sup>.

وعلى ذكر عملية الاتفاق وعدم الاتفاق فيما يخص أفرع أسرة اللغات الإفريقية والآسيوية نجد أن كثيرا من العلماء تردوا قبل أن يرضوا باعتماد اللغات التشادية ضمن هذه الأسرة ، خاصة أولئك الذين سيطرت على عقولهم مبادئ علم السلالات البشرية ، الذين شق عليهم أن يقبلوا بانتماء هذا الفرع الذي يتميز أصحابه بالسحنة الزنجية الخالصة بينما الأفرع الأربعة الأخرى من أصحاب البشرة الفاتحة اللون، والشعر المرسل في أغلبهم <sup>(25)</sup> .

ومما يلاحظ أن غرينبيرج في تناوله لأفرع الإفريقية الآسيوية تجنب استخدام مصطلح "حامي" الذي شكل أربعة من فروعه الخمسة ، وذلك لأن مصطلح "حامي" لا يستند إلى أي أساس لغوي ، ولأنه عبارة عن مصطلح نسب عرفا إلى أربعة أفرع من أسرة لغوية بكاملها ، ولهذا اقترح غرينبيرج الاستعاضة عن المصطلح المضلل ، الأسرة الحامية - السامية ، بمصطلح الأسرة الإفريقية الآسيوية <sup>(26)</sup>. وهما لا يعنيان شيئا واحدا كما ذكرنا من قبل.

والحق أن مصطلح " الحامية " في الواقع ، لا يمثل كيانا لغويا حقيقيا ، وقد هجر في تصنيف جوزيف غرينبيرج نظر للملابسات الكبيرة التي سببها استعماله في علم الأنثروبولوجيا الجسمية والثقافة والتاريخ<sup>(27)</sup>.

نخلص من هذا العرض عن الخلفية اللغوية والتاريخية لمفهوم الإفريقية الآسيوية- إلى تأكيد الفهم السائد بأن جوزيف غرينبيرج ، الذي سك هذا المفهوم في خمسينيات القرن الماضي ، قد اعتمد اعتمادا شبه كامل على مجهودات الباحثين الذين سبقوه في مجال تصنيف اللغات الإفريقية عموما ، وعلى ما سمي لاحقا بأسرة اللغات الإفريقية الآسيوية خصوصا ، مما ساهم في إرساء أركان هذا المفهوم .

وأن تصنيف غرينبيرج، رغم ما يقال عنه من أنه إعادة ترتيب لما توصل إليه المصنفون من قبل مع بعض الإضافات من عنده ، على الأقل فيما يخص أسرة اللغات الإفريقية الآسيوية ، لم تطرأ عليه إضافات جوهريّة ، وإنما إضافات متوقعة لأجزاء من تصنيفه كان هو على علم بأنها غير نهائية .

وأن غرينبيرج تعمد تجنب استخدام مصطلح " الحامية " في تصنيفه لاعتقاده بأن هذا المصطلح مضلل ، واستعاض عنه بمسميات لأفرع أربعة هي البربري والكوشي والتشادي والمصري القديم .

نستنتج من ذلك أن هناك أصلا تاريخيا مشتركا ( روابط تاريخية مشتركة) لأسرة اللغات الإفريقية الآسيوية جعلت غرينبيرج يقر بوجود قرابة بين لغات الجماعات القوقازية ( السامية والحامية ) أي أن لها أصلا لغويا مشتركا .

وإذا كان هناك أصل لغوي مشترك لأسرة اللغات الإفريقية الآسيوية التي تتحدثها الجماعات القوقازية في إفريقيا يتمثل في التشابهات اللغوية المنحدرة من لغة الجد ، فهل هناك أصل سلافي مشترك ؟

### الأصل السلافي المشترك لمتحدثي أسرة اللغات الإفريقية الآسيوية

يمكن تقسيم سكان إفريقيا رغم اختلاط السلالات الإفريقية بعضها ببعض الآخر ذلك الاختلاط الناتج عن الهجرات البشرية المستمرة منذ عهود سحيقة بحيث يصعب القول بأن هناك سلالات نقية تماما ، يمكن تقسيمهم إلى :

1- أقزام .

2- بوشمن وهنتوت .

3- زنوج .

4- قوقازيين ( وهي السلالات التي نتناولها بمزيد من التركيز في هذه الورقة ).

السلالة القوقازية Caucasoids مشتقة من الاسم قوقاز وهو اصطلاح بحث إذ إنه ليس جنسا خاصا ببلاد القوقاز ، وهو منتشر في غرب آسيا ومعظم أوربا والنصف الشمالي الشرقي لقارة إفريقيا (28) . ويتميز أعضاء هذه السلالة رغم بعض الاختلافات الطفيفة نتيجة الاختلاط بالسلالات المجاورة ، بالرأس الطويل والشعر المموج والأنف الدقيق والقامة المتوسطة والجسم النحيل ولون البشرة الأسمر سمرة حقيقية ، حيناً ، كما في مصر ، وداكنة أحياناً أخرى ، كما في إثيوبيا والصومال ، على أن هناك ظاهرة يتحدث عنها الكتاب خاصة بظهور الشقرة والعيون الخضراء أو الزرقاء بين البربر في المغرب ، ويرجعون أنها ترجع إلى هجرات أوربية فيما قبل الميلاد واتخذت من ديار المغرب أوطاناً لها (29).

تقسم السلالة القوقازية إلى قسمين : حامي وسامي ، والقسم الأول يحتل منطقة قرن إفريقيا وبعض الجهات الواقعة إلى الغرب من البحر الأحمر ، وبعض جهات إفريقيا الشمالية .. وأما القسم الثاني فيجاور الحاميين في الشرق من إفريقيا والشمال ، ويحتل معظم الهضبة الإثيوبية وحوض النيل وشمال إفريقيا (30).

الواقع أن الحاميين ( والاسم مشتق من حام بن نوح كانوا من القوة الكبرى التي حضرت شعوب إفريقيا الزنجية من زمن بعيد نسبياً ، أما التأثير السامي فلم يظهر إلا في فترة متأخرة ، ويكاد ينحصر في إفريقيا البيضاء شمالي الصحراء الكبرى حيث تسكن الشعوب السامية (31).

وللعلماء المختصين في السلالات الإفريقية وفقاً للاعتبارات الجغرافية تقسيمان

للحاميين:

1- حاميون شرقيون ، وهذا القسم يشمل المصريين القدامى منهم والمحدثين مع

ملاحظة الامتزاج بالدم الأجنبي في الطبقات العليا في حالة المصريين المعاصرين (32).



إلى جانب البجا ( الذين اختلف في أصلهم فمن قائل إنهم حاميون ومن ذاهب إلى أنهم ساميون، وآخر توسط وقال إنهم خليط من الساميين والحاميين )<sup>(33)</sup>، والنوبيين أو البرابرة والقالا والصومال والذناكل ومعظم الأحباش رغم اختلاطهم بالساميين والزنج<sup>(34)</sup> . ومما تجدر الإشارة إليه أنه تم إخراج النوبيين أو البرابرة من هذه المجموعة سلالة ولغة بواسطة عدد من علماء اللغات .

وبعض المصادر تسمي هذا القسم من الحاميين بالكوشيين Kushites أو Cushites الذين ينقسمون إلى كوشيين شماليين ( البجا والبلين والأقو وجميعهم يمثلون أكثر الحاميين نقاء اليوم) وإلى كوشيين جنوبيين ( السيداما )، ويميز هؤلاء أنهم امتزجوا بصورة واضحة مع الزنج<sup>(35)</sup> . وتذهب بعض المصادر إلى القول إن الكوشيين سكنوا الهضبة الإثيوبية الوسطى قبل 3000 سنة قبل الميلاد ، وهم فيما بعد أصبحوا مشتتين ومميزين إلى خمس مجموعات لغوية وثقافية<sup>(36)</sup> ليس هنا مجال الاستفاضة فيها .

2- **حاميون شماليون** : وهذا الفرع يعيش بشمال إفريقيا من مرتفعات أطلس شمالا حتى نهر النيجر جنوبا<sup>(37)</sup> ، ويشمل عند سلجمان البربر من أهل طرابلس وتونس والجزائر وقد جرى العرف على تسمية هؤلاء جميعا بالليبيين ، وكذلك بربر مراکش والطوارق التبو من أهل الصحراء والفولا في نيجيريا وجماعات الجوانش Guanche المنقرضة التي كانت تسكن جزر كناري<sup>(38)</sup> ، إلا أن التصنيفات السلافية فيما بعد أخرجت الفولا ( أو الفولاني ) من هذه المجموعة سلالة ولغة .

والتبو المشار إليهم أعلاه ( والكلمة تعني سكان الصخر ) يسكنون هضبة تبستي بشمال تشاد بصورة أساسية ، وبعضهم يتحرك في سهول واسعة تمتد من الفيزان إلى بحيرة تشاد<sup>(39)</sup> ، وقد دخل بعضهم غرب السودان تحت مسمى التيدا والدزا .

وأما القسم الثاني من السلالة القوقازية الذي يمثل السامي فقد اشتق الاسم من سام بن نوح، ويتسع المصطلح الآن حتى يشمل الشعوب الآتية : العرب الذين وفدوا إلى شمال إفريقيا من الشرق غزاة في القرن السابع الميلادي ، لكن غزواتهم الرئيسية كانت فيما بين القرن الحادي عشر والرابع عشر الميلاديين، وقد نشروا معهم اللغة العربية والإسلام وقد اختلطوا في بعض الأماكن بالبربر اختلاطا كبيرا لدرجة أن أصول القبائل أصبحت

ملتبسة .. والواقع أن تعبير (عربي) لا يستخدم الآن في موضعه للدلالة على سلالة ، وإنما ليبدل على المسلم أو على مواطن من شمال إفريقيا ، أو على شخص يتكلم العربية ، وبالتالي فإن التعبير أصبح تعبيراً ثقافياً أكثر - منه للتعبير عن سلالة<sup>(40)</sup>. وظاهرة ادعاء الانتساب إلى العرب منتشرة في كثير من الشعوب الإفريقية لا سيما في السودان نتيجة لتوسيع مدلول مصطلح "عرب" ولأسباب عديدة أخرى.

كما يشمل مصطلح "سامي" بالإضافة إلى العرب الأكاديين من قدماء البابليين والآشوريين والكنعانيين : (الأموريون ، المؤابيون ، الأدميون ، الفينيقيون)، والقبائل الآرامية المختلفة (ومنها اليهود) وجزءاً كبيراً من سكان إثيوبيا ، تلك الشعوب جميعاً يشملها "الساميون" وخصوصاً لأن لغاتها قاطبة انحدرت من أصل لغوي واحد، وهو اللغة السامية ، وهناك دليل آخر ، هو التشابه في الصفات الجسمية في مظاهر الحضارة<sup>(41)</sup>.

ويبدو أن الحاميين قد سبقوا الساميين في الوصول إلى إفريقيا ، ويبدو ذلك جلياً من إسرائيل ولفنسون عندما يذكر إنه عندما وصل الساميون من سبئيين وحميريين وفينقيين في هجرات متلاحقة وجدوا في المنطقة الحاميين أبناء عموميتهم القريبيين منهم ثقافة وعرقاً فاندمجوا معهم وذاب الشعبان في بعضهم ذوباناً شديداً<sup>(42)</sup>.

يفهم ضمناً من الفقرة أعلاه أن الساميين والحاميين جاؤا إلى إفريقيا في هجرات فمن

يئن جاءوا ؟ أو بالأحرى ما هو وطن الساميين وما هو وطن الحاميين الأصلي ؟

ما يزال الوطن الأصلي (الأول) للحاميين والساميين من الموضوعات الغامضة في التاريخ الإنساني ، وقد قدم في ذلك عدد من النظريات بعضها عالجت المسألة بذكر كل قسم على حده وبعضها عالجهما مجتمعين ، فيما يلي نستعرض عدداً من الإشارات لهذه القضية :

أولاً : يشير محمد عوض محمد إلى أن قلة من الكتاب تزعم بأن العناصر القوقازية من أصل إفريقي ، والكثرة من العلماء ترى أن القوقازيين دخلوا من الجهات الشرقية والشمالية الشرقية للقارة الإفريقية<sup>(43)</sup>.

ثانيا : يذهب محمد عبدالغني سعودي إلى أن أصل الحاميين من جنوب آسيا جاءوا في عصر متقدم بحيث لم يبق لهم أثر الآن في تلك القارة ، أما الساميون فأتوا من جزيرة العرب وجاءوا في وقت متأخر نسبيا (44).

ثالثا : يري سلجمان ، أن الوطن الأصلي لجماعات الحاميين من المتفق عليه عموما أنه يقع في آسيا ، ومن الجائر أن يكون جنوب الجزيرة العربية أو أبعد إلى الشرق من تلك المنطقة (45).

رابعا : يفترض سرجي G.Sergi عالم الأجناس الإيطالي ، وفقا لرواية سلجمان، أن وطن الحاميين يوجد في القرن الإفريقي (46) ، كما يفترض أيضا أن القوقازيين نشأوا في الصحراء الكبرى في شمال إفريقيا ، ومنها انتقلوا إلى أوربا شمالا وآسيا شرقا (47).

خامسا : يقول جودة حسنين جودة إن الحاميين شعوب بيضاء ، يرجح أنها هاجرت إلى شمال إفريقيا من موطن أصلي حوالي البحر الأحمر (48).

سادسا : يذكر جرجي زيدان عند حديثه عن مهد الساميين ، أنه كان من أولى الآراء التي قيل بها في هذا الخصوص ملجاء في التوراة على أن مهد الإنسان كان في بلاد ما بين النهرين ومنها تفرق في الأرض (49).

سابعا : يورد أولدروج Olderogge أن الحاميين وافدون من آسيا عند أغلب العلماء الذين يعتقدون أن آسيا هي مهد البشرية ومنبت السلالات العرقية التي نزحت إلى أوربا وإفريقيا (50).

ثامنا : يعتقد كارل هيكر أن الموطن الأصلي للغات السامية - الحامية ، كان لزمن طويل احتمال كون شبه الجزيرة العربية بوصفها منطلق كل حركات الهجرات السامية الكبرى في زمن سحيق ، الموطن الأصلي للساميين أيضا ، وبحثنتنظريات أخرى عن موطن الساميين الأصليين في أطراف الصحراء السامية التي يمكن أن يكون قد سكنها البدو الرعاة أيضا ، أو بسبب انتشار المفردات المتماثلة للفظ نهر وصحراء في الأراضي الزراعية حول النهر في بلاد ما بين النهرين الرافدين (51).

تاسعا : يذهب لطفي عبدالوهاب يحيى إلى أن بعض العلماء افترضوا أن الحبشة هي الموطن الأول المشترك بين الساميين والحاميين وأنهم عبروا منها إلى جزيرة العرب عن

طريق سيناء ، كما عبروا مضائق الطرف الجنوبي للبحر الأحمر عند باب المنذب إلى جنوب شبه جزيرة العرب (52).

يلاحظ مما تم عرضه أن الموطن الأول ( الأصلي ) للساميين والحاميين تقاسمته ثلاث مناطق رئيسة هي شبه جزيرة العرب ( وهي الأقرب من حيث ترجيح أغلب العلماء ) ومنطقة القرن الإفريقي ، وشمال إفريقيا ، وكل ذلك يقودنا إلى مجموع من الاجتهادات تحتاج إلى مزيد من الشواهد التاريخية والعلمية .

وبعيدا عن جدلية الموطن الأصلي للساميين والحاميين فإن بعضهم فصل في أمر هجرة الحاميين والساميين إلى إفريقيا وهذا البعض مما ذكر يؤيد الأصل غير الإفريقي لهذين الفرعين المكونين للسلالة القوقازية.

إن الحاميين وفقا ل هنتغفورد Huntingford قد دخلوا شمال شرق إفريقيا في ثلاث موجات رئيسة يمكن أن تميز على النحو التالي (53) :

1- الحاميون الأوائل ( الأصليون ) Proto ( الحاميون أ ) ، ومن المحتمل أنهم يمثلون حاليا بواسطة النيرا Nera أو الباريا Barya والبادينا Badena أو الكوناما Kunama في إريتريا ، على الرغم من أن الوضع الإثني لهذين الشعبين كلاهما غير محدد جيدا .

2- الحاميون المبكرون ( Early ( الحاميون ب ) ، وهؤلاء يمثلون بواسطة شعوب المنطقة الشمالية ( البجا ) والمنطقة الوسطى ( الأغو Agau ) والمنطقة الجنوبية الغربية (السيدياما ) .

3- الحاميون المتأخرون Later ( الحاميون ج ) وهؤلاء يمثلون بواسطة شعوب المنطقة الشرقية ( القالا والصومالي والعفر أو الدناكل والساهاو ) .

ومن المرجح دخول الحاميين إلى إفريقيا عن طريق إثيوبيا والصومال وانتشارهم شمالا إلى السودان ومصر ثم هجرتهم إلى ليبيا وبلاد المغرب (54) .

أما الجماعات السامية وأشهرها التي تتكلم اللغة العربية فقد انتقلت معظمها إلى إفريقيا عن طريق شبه جزيرة سيناء ، منها ما اتجه جنوبا إلى السودان ، ومنها ما اتجه غربا إلى شمال إفريقيا ، ومن هناك انحدرت أيضا إلى الجنوب (55) .

إن ما ذكر من هجرات الحاميين والساميين ليؤكد على فرضية قدومهم من شبه الجزيرة العربية وعلى ذلك سار غالبية العلماء كما أشرنا قبل قليل .  
 إن من خلال معالجتنا لتتبع السلالة القوقازية بشقيها السامي والحامي لنجد أن هناك نقاط تشابه واختلاف حول هذين الشقين فما هي عناصر هذا التشابه وماهي عناصر هذا الاختلاف ؟

أشار كثير من العلماء إلى وجود تشابه في العرق واللغة والثقافة والموطن بين الحاميين والساميين يمكن ذكر بعضها فيما يلي :

- 1- يورد كارل هيكر أن هناك قرابة سامية تستتبط من أنهما موطنهم الأصلي واحد وهو شبه جزيرة العرب ، كما يورد أيضا أن هناك خصائص كثيرة للسامية لوحظت مبكرا في اللغات الحامية<sup>(56)</sup>.
- 2- يقول محمد عمر بشير إن قوة التشابه العرقي واللغوي والثقافي بين الشعوب الناطقة باللغات الحامية أو الكوشية والشعوب الناطقة باللغات السامية ، جعلت بعض الباحثين يرجحون أن هاتين المجموعتين قد عاشتا في موضع واحد وربما تنتميان في أصولهما البعيدة إلى شعب واحد<sup>(57)</sup>.
- 3- يشير محمد عوض محمد إلى أن التقارب اللغوي ( بين الحاميين والساميين) يعكس إلى حد ما التقارب في الصفات الطبيعية. وأضاف لقد يصادف المرء في مطالعته كآتبا يحاولون عبثا أن يفرقوا بين الساميين والحاميين في صفاتهم، فلا يبلغون ببحثهم شيئا نقبله .. والصحيح في نظر كثيرين أن الحاميين والساميين من أسرة جنسية واحدة ، كما هي الحال في لغاتهم<sup>(58)</sup> . ويشير في موضع آخر إلى أن هذه السلالات متشابهة ، ورد الاختلافات إلى الاختلاط بعناصر زنجية بحكم الموقع الجغرافي وبحكم الغزو والسبي<sup>(59)</sup> .
- 4- يرى محمد عبدالغني سعودي أن هناك قرابة بين الحاميين والساميين من حيث السلالة حتى لا نجد فروقات في صفاتهم الجسمية ، وقد يكون لهذا أثره في استجابة سكان شمال إفريقيا الشمالية وهم حاميون أصلا للمؤثرات العربية أي السامية<sup>(60)</sup> .

5- يعتقد سلجمان بأنه ليس ثمة شك في أن الحاميين والساميين معا من أصل سلافي واحد أصابه التحوير والتعديل ، وليس شك كذلك في أن هذا التباين والتمايز بين السامي والحامي لم يحدث منذ عهد بعيد جدا .. ولعل الدليل على ذلك يكمن في وجود سمات ثقافية مشتركة وتشابه لغوي بينهما ، كما أن الصلة في الناحية الجثمانية جلية صريحة<sup>(61)</sup> . وفي مكان آخر يقر سلجمان أن الساميين يشبهون الحاميين جسمانيا<sup>(62)</sup>.

نخلص مما تم عرضه إلى أن هناك تشابها صريحا بين الحاميين والساميين في السلالة والسمات الثقافية واللغوية وليس بالضرورة أن يكونا متطابقين تماما ، على الرغم من الإشارة المتكررة إلى أنهما من أصل واحد مشترك فإلى ماذا يرد هذا الاختلاف بينهما؟ يقول جودة حسنين جودة إنه رغم التشابه في الصفات الأساسية العامة للحاميين والساميين فإننا لأعجب حينما نرى كثيرا من التنوع في الصفات الطبيعية لشعوب الفرعين المتعددة<sup>(63)</sup> . وفي هذه إشارة إلى وجود اختلافات بين العناصر المكونة للحاميين والساميين .

مهما يكن من أمر إقرار هذا الاختلاف بين الحاميين والساميين فإن هناك أسبابا تقف من خلفه أشار إليها الكثير من الباحثين ، ومن هذه الأسباب :

- 1- الانتشار الواسع للسلالة القوقازية<sup>(64)</sup>.
  - 2- المؤثرات التي خضعت لها كل مجموعة في الوطن الثاني الذي استقرت فيه<sup>(65)</sup>.
  - 3- التزاوج بالسلالات المجاورة<sup>(66)</sup> .
  - 4- الاختلاط بعناصر زنجية بحكم الموقع الجغرافي وبحكم الغزو والسبي<sup>(67)</sup>.
- والحق أن كل تلك العوامل تضافرت في إحداث اختلافات في الصفات الطبيعية لا في الحاميين والساميين كل على حده ولكن داخل العناصر المكونة لكل شق ، وليس ذلك فحسب وإنما أيضا في الثقافة واللغة لكل عنصر .

### خلاصة

نخلص من هذه الورقة إلى أن مفهوم الإفريقية الآسيوية الذي ارتبط بالعالم الأمريكي جوزيف غرينبيرج تم استنباطه من كون اللغات المنضوية تحته هي الوحيدة التي تتحدث

في قارتي إفريقيا وآسيا ، وأنه ارتكز فيه على مساهمات الباحثين الذين سبقوه ، مما سهل له عملية التصنيف ، ووفقا لذلك فإن أسرة اللغات الإفريقية لها أصل تاريخي مشترك بحيث لها لغة أولى ( أصلية) Proto انحدرت منها جميع اللغات التي تشملها هذه الأسرة .

كما تخلص الورقة أيضا إلى أن هناك أصلا سلاليا مشتركا لأسرة اللغات الإفريقية الآسيوية يقره أغلب العلماء رغم اختلافهم في الموطن الأصلي للسلالة القوقازية ( بشقيها الحامي والسامي) ، إذ هناك تشابهات سلافية وثقافية ولغوية بينهما، ويبقى الخلاف الذي بينهما يفرضه انتشار الواسع لهذه السلالة والتزاوج بالسلالات الأخرى بالإضافة إلى الاختلاط بالعناصر الزنجية بحكم الموقع الجغرافي وبحكم الغزو والسبي .

**الهوامش والإحالات المرجعية**

- 1- See : Hayward , Richard , J. (2000): " Afro-asiatic " , *African Languages , An Introduction* , Heine ,B, and Derek Nurse (eds) Cambridge : Cambridge University Press , P. (74)
- 2- انظر : جوزيف غرينبيرج ( 1966): إفريقيا كمنطقة لغوية ، الثقافة الإفريقية ، دراسات عناصر الاستمرار والتغير ، تحرير : وليم باسكول وملفيل هيرسلوفتزر ، ترجمة : عبدالملك الناشف ، صيدا ، المكتبة العصرية ، ص (44).
- 3- وهذا ما تؤكد عليه المدرسة الألمانية في اللغات الإفريقية دائما ، انظر : الأمين أبو منقما محمد (2006) " اللغات الإفريقية : تصنيفها وتاريخ البحث فيها " ، اللغات في إفريقيا ، مقدمة تعريفية ، يوسف الخليفة ابوبكر وآخرون ، ملتقى الجامعات الإفريقية ، جامعة إفريقيا العالمية ، الخرطوم : دار جامعة إفريقيا العالمية للطباعة ، ص (1)
- 4- See : *The New Encyclopedia Britannica* ( 1978 ) , `15 th Edition , Vol. (1) , Chicago : Macro PAEDIA , P. (219), And also see : Alexander, Pierre (1982): *An Introduction to languages and language in Africa* , London: : William Cowes and Sons Limited , P. (49).
- See: Hayward , J.Richard (2000): Op. cit , P. (84)-5
- See: *The New Encyclopedia Britannica*,(1978) ,op. cit , p.p.(219- 220) -6
- Ibid , P. (220)-7
- Ibid , Idem -8
- 9- انظر : محمود فهمي حجازي (د. ت ) تعلم اللغة العربية ، مدخل تاريخي مقارنة في ضوء التراث واللغات السامية ، الكويت : وكالة المطبوعات ، ص ص ( 134 - 135).
- 10- المرجع نفسه ، ص . ص ( 135 - 136 ) .
- 11- انظر : سليجمان ، س. ج . ( د. ت ) : السلالات البشرية في إفريقيا ، ترجمة : يوسف خليل القاهرة : مكتبة العالم العربي ، ص (14)
- 12- See : Levine , Donald ,N. ( 1974 ) : *Greater Ethiopia , The Evolution of a Multiethnic Society* , Chicago: The University of Chicago Press , P.(3).
- 13- See: Diakonoff , Igor M. (1988) : *Afrasian Languages* , Translated from Russian by: A.A. Korolevana and V. Ya., Porkhomovsky , Mouton and Co, The Hague , The Netherland , P.P. (42-43)
- Ibid, P. (50) - 15
- 16- انظر : محمود فهمي حجازي ، مرجع سابق ، هامش ص (138).



- 17- See : Matthews P.H. (1997) : *Oxford Concise Dictionary of Linguistics* , New York , Oxford University Press , P. (336).
- 18- انظر : الطاهر داود (2006) : "عشيرة اللغات الإفريقية الآسيوية ، كنموذج للتداخل والتواصل الإفريقي ، ورقة مقدمة للمؤتمر العلمي بملتقى الجامعات الإفريقي ، جامعة إفريقيا العالمية ، السودان ، الكتاب الأول ، (182).
- 19- See: Matthews , P. H. ( 1997) : Op .cit , P. (38)
- 20- انظر : الطاهر داود (2006) : مرجع سابق ، ص (182).
- 21- See: *Encyclopedia Americana* (1992) , Vol .(8). U.S.A Crolier Incorporated , P. (353)
- 22- انظر : الطاهر داود (2006) : مرجع سابق ص . ص ( 182 - 183).
- 23- See : Levine , Donald , N. (1974) : Op. cit , P.(3)
- 24- See: Hayward , J.Richard (2000): Op.cit, P. (75)
- 25- انظر : الطاهر داود ( 2006 ) : مرجع سابق ، ص (183).
- 26- انظر : جوزيف غرينبيرج (1966) : مرجع سابق ، ص (51).
- 27- المرجع نفسه ، ص (44).
- 28- انظر : محمد عوض محمد ( 1969 ) : *الشعوب والسلالات الإفريقية* ، سلسلة دراسات إفريقية (1) . القاهرة : الدار المصرية للترجمة والنشر ، ص (15).
- 29- انظر : محمد عبدالغني سعودي ( د. ت ) : *إفريقية ، دراسة في شخصية القارة وشخصية الأقاليم* ، القاهرة : مكتبة الأنجلو المصرية ، ص (63).
- 30- انظر : محمد عوض محمد ( 1969 ) : مرجع سابق ، ص (25).
- 31- انظر : سليمان ، س . ج ( د ت ) ، مرجع سابق ، ص (17).
- 32- المرجع نفسه ، ص (87).
- 33- لمطالعة بعض الآراء حول أصل البجا انظر: إدريس سالم الحسن (1994) " البجا في شرق السودان " *دراسات إفريقية* ، إصدار: مركز البحوث والدراسات الإفريقية، جامعة إفريقيا العالمية ، العدد (11) ، يونيو ، ص. ص ( 51 - 66 ) وانظر أيضا : نعوم شقير (1981) : *تاريخ السودان* ، تحقيق : محمد إبراهيم أبوسليم ، بيروت : دار الجيل ، ص (89) ، وكذلك انظر : محمد عثمان أوبوكر ( د. ت ) *تاريخ إريتريا المعاصر* ، ( د. ن ) ، ص (47).
- 34- انظر : سليمان ، س . ج ( د. ت ) ، مرجع سابق ، ص ( 87 ) .
- 35- See : Trimingham, J.Spencer (1976) : *Islam in Ethiopia* , London : Frank Cass , P. (6).

- 36- See : *Encyclopedia Americana* (1992), Op.cit,P. (353)
- 37- انظر : فتحي محمد أبوعيانة(1987): *جغرافية افريقيا* ، الإسكندرية: دار المعرفة الجامعية ، ص (139) وانظر أيضا : محمد عبدالفتاح أحمد إبراهيم ( د. ت ) : *إفريقية ، الأرض والناس* ، القاهرة : مكتبة الأنجلو المصرية ، ص (52).
- 38- انظر : سليجمان ، س.ج ( د. ت ) : مرجع سابق ، ص (87).
- 39- انظر : ديس بولم (1974) : *الحضارات الإفريقية* ، ترجمة علي شاهين ، بيروت: منشورات دار مكتبة الحياة ، ص ص (356 – 357) .
- 40- انظر : جودة حسنين جودة ( 1998 ) : *جغرافية إفريقيا الإقليمية* ، الإسكندرية : المكتب الجامعي الحديث ، ص (112).
- 41- انظر : *الموسوعة العربية الميسرة* ( 1980 ) إشراف : محمد شفيق غريال ، مجلد (1) بيروت : دار نهضة لبنان ، ص ( 948 ) .
- 42- انظر : إسرائيل ولفنسون ( د. ت ) : *تاريخ اللغات السامية* ، بيروت : دار القلم ، ص (23) .
- 43- انظر : محمد عوض محمد ( 1969 ) ، مرجع سابق ، ص (63).
- 44- انظر : سليجمان ، س.ج ( د. ت ) مرجع سابق ، ص (88).
- 45- المرجع نفسه ، الصفحة نفسها .
- 46- نقلا عن فاروق عبدالجواد شويقة ( 1997 ) : *خريطة رقمية للسلاوات والشعوب في القارة الإفريقية* ، الموسوعة الإفريقية ، إصدار: معهد البحوث والدراسات الإفريقية ، جامعة القاهرة ، مجلد (4) ، الأنثروبولوجيا ، إعداد : فاروق عبدالجواد شويقة وآخرين ، ص (320).
- 47- انظر : جودة حسنين جودة ( 1998 ) : مرجع سابق ، ص ( 111 ) .
- 48- انظر : جرجي زيدان ( د. ت ) : *العرب قبل الإسلام* ، بيروت : دار مكتبة الحياة ، ص (43)
- 49- انظر : أولدورج، د. ( 1980 ) : " *الهجرات والاختلافات السلوكية واللغوية* " ، تاريخ إفريقيا العام ، مجلد (1) ، ص (281).
- 50- انظر : كارل هيك (2005) : *دراسات في العربية ، أصولها - مراحلها التاريخية - بنيتها - لهجاتها - علاقاتها بأخواتها الساميات* ، تأليف : مجموعة من المستشرقين المعاصرين، تحرير : فولفديتريس فيشر ، نقلها إلى العربية ، سعد حسن بحيري ، القاهرة : مكتبة الآداب ، ص (23).
- 51- انظر : لطفي عبدالوهاب يحيى ( 1979 ) : *العرب في العصور القديمة* ، بيروت : دار النهضة العربية ، ص (51).
- 52- See: Huntingford , G.W.B. (1993):" The Ethnology and History of South- west Ethiopia ", *History of the Galla ( Oromo) of Ethiopia ,with Ethnology and History of South West Ethiopia* , Oak Land , California : African Sun Publishing , P.(2).

- 54- انظر : محمد عبدالغني سعودي ( د. ت ) ، مرجع سابق ، ص (63).
- 55- المرجع نفسه ، الصفحة نفسها.
- 56- انظر : كارل هيكير (2005) : مرجع سابق ، ص (23).
- 57- See: Mohamed O. Beshir (1982): *Terramedia , Themes in Afro- Arab Relations* , I.A.A.S University of Khartoum , P. (14).
- 58- انظر : محمد عوض محمد ( 1969 ) : مرجع سابق ، ص (234).
- 59- المرجع نفسه ، ص (236).
- 60- انظر : محمد عبدالغني سعودي ( د. ت ) ، ص (63).
- 61- انظر : سليجمان ، س . ج . ( د. ت ) : مرجع سابق ، ص (88).
- 62- المرجع نفسه ، ص (103) .
- 63- انظر : جودة حسنين جودة (1998) : مرجع سابق ، ص (111).
- 64- انظر : فاروق عبدالجواد شويقة ( 1997 ) ، مرجع سابق ، ص (320).
- 65- انظر : سليجمان ، س . ج . ( د. ت ) : مرجع سابق ، ص (87).
- 66- انظر : محمد عبدالغني سعودي ( د. ت ) ، مرجع سابق ، ص (63).
- 67 - انظر : محمد عوض محمد ( 1969 ) ، مرجع سابق ، ص (236).